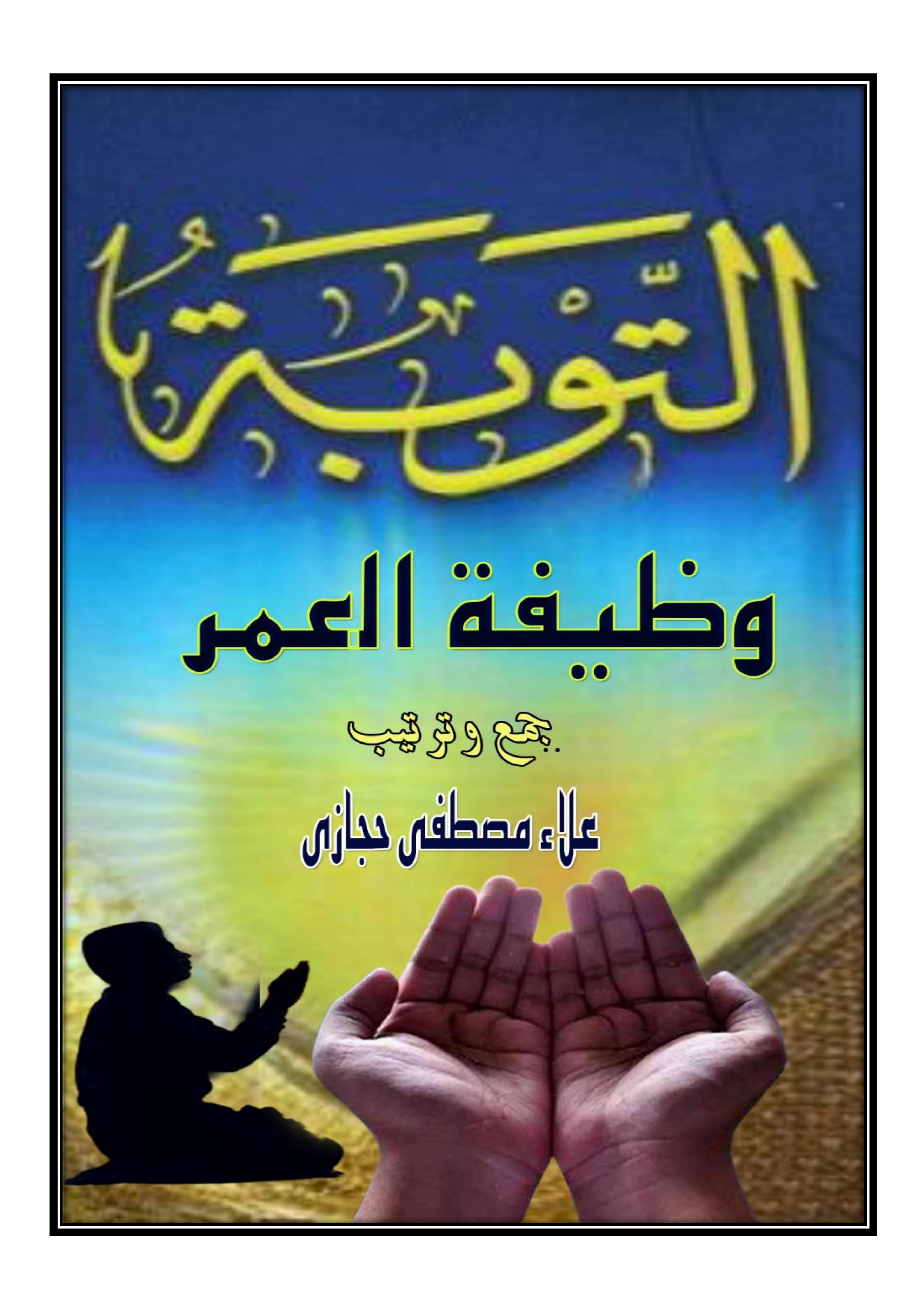

التوبة
وظيفة العمر
جمع وترتيب.
علاء مصطفى حجازى





وظيفة العمر

جمع وترتيب

علاء مصطفى حجازى

نشر

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية





التوبة أعظم أمل فى الحياة

- الحمد لله ، والصلاة والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
- إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد ، ونعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن قيل "أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين "
- عبودية التوبة من أحب العبوديات إلي الله تعالي ، فالله يحب التوابين وأظن أن هذا يكفى فى فضل التوبة
- ومقام التوبة هو بداية العبد ونهايته وأول منازل العبودية وأوسطها وآخرها
- بإختصار. التوبة وظيفة العمر ، بل تستطيع أن تقول أنها وظيفة الأنفاس والدقائق ، وهى أعظم أمل فى الحياة
- ولا يستطيع الإنسان السير إلى الله فضلا عن أن يسارع إليه إلا أن يكون تائبا ، قال الله تعالى " فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ "
- ومعناه أن من تاب هو من يستطيع الإستقامة لأنه من تحمل بالذنوب والمعاصى والمخالفات ، كيف يستقيم ، كيف يسير وقد تحمل هذه الأحمال والأثقال والأوزار ؟
- كيف يسير بهذا الثقل الشديد على قلبه ونفسه وبدنه ، لن يستطيع السير ، ومن ثم فلن يستطيع السير إلا أن يكون تائبا
- كلنا نحتاجها
- كلنا نحتاج التوبة فلا يخلو امرئ من ذنب أو تقصير أو تفريط أو غفلة سواء فى ظاهره أو فى باطنه
- التوبة لابد أن تكون على الفور ما إن يذنب فيتوب ، إن أخّرها المرء فكأنه مصّر على الذنب لم يخرج منه ، فتأخير التوبة ذنب يحتاج إلى توبة
- وشرط المغفرة – ولم يصروا على فعلوا وهم يعلمون " فالإصرار هو ترك التوبة
- فالتوبة هى باب المسارعة الى الخيرات واقتناص الوقت للفوز بسعادة الأبد
- التوبة مظهر من مظاهر عظمة الشريعة الإسلامية

مظاهر عظمة الشريعة الإسلامية كثيرة ، ومن أهم تلك المظاهر أن شريعة الإسلام تعاملك علي أنك بشر لست ملاكاً ، لست نبياً ، لست معصوماً ، وإنما أنت بشر ضعيف تصيب وتخطئ ،، قال الله عز وجل " يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً "

- ولكن أيها الضعيف لك ربٌ قوي غفور رحيم تواب يحب التوابين ، فإذا أخطأت فتب فخير الخطائين التوابون .
- ويقول النبي صلي الله عليه وسلم :

"ما من عبد إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة "

فينبغي علي كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعتقد أنه لا يسلم بشر من نقص ولكن الله فتح باب التوبة لتكمل به إيمانك الناقص ، والعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية .



- ما معني التوبة ؟؟
- التوبة : "ترك المعاصي في الحال ، والعزم علي تركها في الإستقبال ، وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال
- وقيل : التوبة : هي الندم علي ما سلف منك في الماضي والإقلاع عنها في الحال ، والعزم علي ألا تعاوده في المستقبل
- التوبة : هي الفرار من قبضة العدو والرجوع الى الله
- من أي شئ نتوب ؟؟
- التوبة تكون من الذنوب صغيرها وكبيرها ،،،
- وما هو الذنب ؟

الذنب : عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالي في ترك أو فعل ، قال لك اترك فلم تترك فقد خالفت قال لك افعل فلم تفعل فقد خالفت ولابد للتائب معرفة ما يُتاب منه ولو علي سبيل الإجمال .

- والتوبة تستلزم ترك النواهي والإقبال علي الأوامر فمن ترك النواهي ولم يعمل بالأوامر لم تقبل توبته "إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً " فلابد مع التوبة من عمل
- فالتوبة ليست فقط ترك السيئات وإنما تكون أيضا من ترك المأمورات
- وقد تكون التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أحسن من التوبة من فعل السيئات المنهى عنها

- الكثير من الناس يترك مأمورات من أقوال وأعمال وقد لا يعلم أن ذلك مما أُمر به أو يعلم الحق ولا يتبعه فيكون إما ضالا بترك العلم وإما مغضوبا عليه بالإعراض عن الحق بعد معرفته
- إن الهداية التامة إلي الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب ولا مع الإصرار عليها ، فلذلك لاتصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب ، والإعتراف به وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً
- كيفية التوبة
- أن تستحضر فى نفسك الذنب الذى وقعت فيه
- ثم تندم عليه وتستغفر الله عزوجل منه
- ثم تعزم عزما أكيدا أنك لن تعود إلى مثله أبدا
- مثال
- تارك الصلاة
- يندم على ترك الصلاة
- يقلع عن الذنب = يبدأ يصلى
- يعزم ألا يتوقف عن الصلاة أبدا
- إذا اجتمعت الثلاث – ندم وإقلاع وعزم – فى نفس الوقت كانت توبة صحيحة
- وهذه هى التوبة التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : التائب من الذنب كمن لا ذنب له "
- وقس على ذلك أنواع الذنوب الاخرى كالغيبة والنميمة والنظر للحرام والعقوق وأكل الحرام والنظر المحرم الخ
- ينبغى أن يفعل الإنسان ذلك دائماً وخاصة حينما يضع رأسه على الوسادة لينام ، فينام تائباً طاهراً ، أن تعزم على توبة عامة والله سيبدلها حسنات جميعاً ، تغفر ذنوبك جميعاً إلا ما كان متعلقاً بحقوق الناس
- قال الله فى الحديث القدسى : علم عبدى أن له رباً يأخذُ بالذنب ويغفر الذنب -- - قد غفرت لعبدى ----



- هل شعرت بها قبل ذلك ؟
- هل أحسست أنه قد قيلت لك هذه الجملة قبل ذلك – علم عبدى

قد غفرت لعبدى ، انه ليس أمراً صعباً ولا مستحيلاً أن يُقال لك ذلك ولكن لابد من الصدق فى التوبة ، وأنك فعلا تتوب توبة صحيحة بدون لعب ، ستشعر بها حينما تكون موقناً أن لك ربّاً مطلع عليك يغفر الذنوب فتقولها من قلبك رب اغفر لى

- لماذا نـتـوب ؟؟ نتوب
- لأن عبودية التوبة من أحب العبوديات إلي الله تعالي" يعنى ربنا سبحانه وتعالى يحب هذه العبادة عبادة التوبة ويحب من يقوم بها من عباده وكفى بذلك فضلاً، فما ظنك بعبادة إذا قمت بها أحبك الله ، فكيف تغفل عنها ؟
- نـتـوب

لأن الله يفرح بتوبة التائبين ، فللتوبة عند الله عزوجل منزلة ليس كغيرها من الطاعات ، ولهذا يفرح سبحانه بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرحة ، فما ظنك بعبادة يفرح الله بها ؟

- قال ابن القيم رحمه الله (ولم يجئ هذا الفرح في شئ من الطاعات سوي التوبة)، وقد قيل أن العبد إذا تاب ورجع الى الله ناد مناد فى السموات والأرض أن هنئوا فلانا فقد اصطلح مع الله
- ما السـرّ فى ذلك ؟
- ما السر فى فرح الله بتوبة عباده وهو الغنى عنهم ؟
- ما السر والله لا تنفعه طاعات العباد ولا تضره معاصيهم ؟
- قيل :

فى التوبة يحصل الذل والانكسار والخضوع والتذلل لله وهو أحب الى الله من كثير من الأعمال الظاهرة ، ولهذا أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد لماذا ؟

- لأن السجود مقام ذل وانكسار بين يدى ربّه ، فاذا كان الظاهر هكذا ساجداً فليكن الباطن كذلك حتى تتم العبادة ، أى كن كذلك منكسراً ذليلاً بقلبك ، والتائب الحقيقى تكون عنده كسرة وذلة لله عزوجل تشبه ما حصل من أبينا آدم عليه السلام بعد توبة الله عليه
- تالله ما نفعه عند معصيته عز "اسجدوا " ولا شرف " وعلم آدم " ولا خصيصة " لما خلقت بيدى " ولا فخر " ونفخت فيه من روحى " وإنما انتفع بذل " ربنا ظلمنا أنفسنا "
- قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

ومن موجبات التوبة الصحيحة كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شئ ولا تكون لغير المذنب ---- كسرة وذل وخضوع ما أنفعها للعبد ، وما أعظم جبره بها ، وما أقربه بها من الله ، فليس شئ أحب الى الله من هذه الكسرة والخضوع والتذلل والاخبات والانطراح بين يديه .

- ومن أقوال أهل العلم فى هذا الباب أيضا " لماذا يفرح الله بتوبتنا وهو الغنى عنا وعن جميع العالمين ؟
- قالوا : هذا الفرح من الله فرح إحسان وليس فرح احتياج
- ويضرب بعضهم مثلا فيقول :
- إن الكريم إذا رأى وعلم شيئاً طيباً نافعاً يحاول أن يدل الناس عليه ليستفيدوا منه ، وينتفعوا به ، فيفرح الكريم لفوزهم وسعادتهم ، وهذا الفعل إنما يفعله الكرماء من الناس أصحاب النفوس النبيلة ، فهو يفرح لشئ لا يعود عليه بنفع
- ولله المثلُ الأعلى ، كرمُ الله عزوجل وجوده ليس له مثيل وليس له حدود ، ففى الحديث القدسى : لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسأل كل واحد مسألته ما نقص ذلك من ملك الله شئ)
- ومحبة الله للعطاء فوق ما يدور ببال الخلق ، محبة الله للعطاء ومحبته للرحمة والمغفرة فوق تصور البشر ، وفرح الله بالعطاء والجود والرحمة والعفو والمغفرة أشد من فرحة التائبين والمحتاجين
- والله عزوجل عليم ، يعلم كل شئ ولا يخفى عليه شئ ، يعلم ما ينفعنا وما يضرنا ، وهو سبحانه يعلم مدى حاجة الناس إلى التوبة ، ويعلم أن التوبة أنفع للناس من الدنيا وما فيها ، فيدلهم عليها ويرغبهم فيها ، وييسرها لهم ولكن الناس لغفلتهم وجهلهم يعرضون عن التوبة
- فإذا جاء عبد من العباد نادما وطلب التوبة من الله فإن الله يفرح لتوبة هذا العبد فرحا لا تدركه عقول البشر !!! لماذا ؟
- لأن هذا العبد قد فعل أفضل وأنفع شئ له فى هذه الدنيا ، وفرحة الله بالعطاء أعظم من فرحة الآخذ بما أخذ
- فهذا أيضا من أسرار فرح الله بتوبتنا وهو الغنى عنا لا تضره معصيتنا ولا تنفعه طاعاتنا
- نتوب

لأن الله عزوجل أمر بالتوبة وعلق الفلاح بها فقال وهو يخاطب أفضل جيل وهو جيل الصحابة " وتوبوا إلي الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون "
فعلق الفلاح بالتوبة تعليق السبب بسببه فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون

- نتوب

لأن التوبة هي هدي نبينا محمد (صلي الله عليه وسلم) فقد كان يكثر من التوبة والإستغفار ويأمر بها قال صلي الله عليه وسلم :" يا أيها الناس توبوا إلي الله واستغفروه فإني أتوب إلي الله وأستغفره في اليوم مائة مرة

- فأنظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الإصرار علي كثرة التوبة والمداومة على الإستغفار مع علمه أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلماذا يفعل كل هذا ؟؟

- **والجواب :**

يفعل هذا طاعة لله وحده القائل " وتوبوا إلي الله "

- **فهذا أمر مباشر واجب لله عزوجل يأمرك بالتوبة فقل : سمعاً وطاعة ،قل تبت وحسّن توبتك ، فيا لها من غفلة حينما نغفل عن التوبة ،لذلك ، فألزم لسانك " رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم "**
- **يخرب الطريق ويضيع منا بسبب عدم التوبة**
- **فلا بد ألا يتملكك الغرور والعجب والرضا بالنفس والإعجاب بالعمل بل تتهم نفسك وتنكسر وتخضع وتذل وتعترف أنك خطاء وأنك مهما فعلت ومهما قدمت فلم تقم بحق الله كما ينبغى فتجدد توبتك وتكثر من قولك " "رب إن تبت إليك " وتظل تتوب وتجدد توبتك حتي تلقي الله .**



- **نتوب**

خوفاً من نـزول العذاب بسبب الذنـوب .

- **قال الله تعالي " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " وقال الله تعالي " وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " فما نزل بلاء إلا بذنب وما رُفع إلا بتوبة ، فمن ظن أنه يذنب ولا يعاقب فهو مجنون وأي عقوبة أشد من عقوبة الله . وأي مخبر أصدق من الله قيلاً .**
- **نتوب**

خوفاً من مباغتة الأجل فالتوبة واجبة علي الفور وتأخير التوبة ذنب يحتاج إلي توبة والموت يأتي فجأة ولا يستأذن ." فما تدري نفس بأي أرض تموت ".فكيف تستطيع أن تنام وأنت مصر على ذنب

قال تعالي " وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ "فإذا تيقنت بذلك تسارع إلي التوبة وتصحح واقع حياتك .

- **نتوب**
- **لأن التوبـة تبدل السيئـات حسنات .**
- **قال الله تعالي " إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدلُ الله سيئاتهم حسنات "**
- **نتوب**

لأن التوبة هي سبب السعادة !!

- فالتوبة سبب لإنشراح الصدر وزوال الهم والغم والحزن والكآبة والضيق الذي يجده الإنسان أحياناً سببه الذنوب ولا فكاك من ذلك إلا بالتوبة النصوح .
- إن البعض حين يري العصاة وأصحاب الذنوب يفرحون ويمرحون يظن أنهم سعداء
- وهي والله ليست سعادة حقيقية بل هي سعادة وهمية مزيفة ، فمن المحال أن يجعل الله السعادة في فعل أو قول حرمه أو نهى عنه ، وإنما هي سعادة تشبه رجل يستلذ بأكل التراب ليس لأن التراب صار لذيذاً ! وإنما لأن الحس صار بليداً ، إنه مريض يشبه مريض الجرب وهو مرض جلدي لا يرتاح فيه المريض إلا حينما يقطع جلده بأظافره حتي ينزف دماً ، فتكون هي ذروة النشوة بالنسبة له ، وهل هذه لذة أو متعة ؟؟ ولكنه مريض ، كذلك من يستلذ بالمعاصى ، يستلذ بشئ يجلب الألم
- إنما يستلذ به لأنه مريض ، وكذلك المعاصي ليست لذيذة ولا ممتعة ولكن لأن القلب صار مريضاً والحس صار بليداً . فكان ما كان ، ولو كان قلبه سليماً ما وجد متعة في معصية ، وما فرح عبد بمعصية إلا بسبب غفلته عن الله
- نتوب

لأننا نخطئ كثيراً بالليل والنهار . "

- يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنـوب جميعاً " .
- نتوب

لأنه ليس ثمة طريق ثالث . قال الله تعالي : " ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون "
فإما تائب وإما ظالم ، فاختر لنفسك

- نتوب

لنفوز بتوفيق الله عزوجل لنا

- فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وقيد الذنوب يمنع من المشي في طاعة الله ويمنع من المسارعة في خدمته ويحجب التوفيق .
- نتوب
- لأن التوبة للجسد كالماء للسمك ،فكيف تكون الحياة بالنسبة للسمك خارج الماء ؟ لاشك أنها حياة صعبة وخطيرة وتنذر بالهلاك ، فكل ساعة تمر على السمك وهو خارج الماء تعرضه للخطر وتعرضه للاختناق والموت ، فالماء ماذا يمثل بالنسبة للسمك ؟ الماء حياة السمك وروحه
- وكذلك التوبة للانسان حياته وروحه وسعادته ، فكلما مر عليك وقت بدون توبة فإن ذلك نذير خطر وقلق وتوتر
- التوبة صمام أمان ، التوبة حبل نعتصم به ، التوبة قارب نجاة
- فإذا كنا فى بحر من الذنوب كانت التوبة قارب نجاة
- وإذا غرقنا فالتوبة حبل نعتصم به

- وإذا كنا على وشك الإنفجار فالتوبة صمام أمان
- فلماذا لا نتوب ؟؟



" عوائق في طريق التوبة "

- فإذا كانت التوبة بهذه الأهمية التي مرت علينا وبهذا الكم الكبير من الفضائل لماذا لا نقبل علي التوبة ؟ ولماذا لا نسارع في تحصيلها ؟
- السبب أن هناك عوائق وعقبات تمنع من ذلك منها عوائق داخلية ومنها عوائق خارجية :

أولاً : تعلق القلب بالذنب

أما العائق الأول : وهو تعلق القلب بالذنب فما علاجه ؟ ..

أولاً : ما معني تعلق القلب بالذنب ؟

- قد يتعلق القلب بإمرأة ، يتعلق بسيجارة ، يتعلق بمنظر ، يتعلق بشئ من الذنوب ، والقلب إذا تعلق بشئ عز اقتلاعه منه ولكن تعال أخي لنعالج تعلق القلب بالذنب في نقاط :

كيف نعالج تعلق القلب بالذنب ؟

- العلم بالله وبعظمته وبخطورة مخالفته والتجرؤ على معصيته "وما قدروا الله حق قدره"
- العلم بكرم الله وجوده وعظيم نعمه وأفضاله والحياء منه ، فهو يعطيك ثم يعطيك ولا تتوقف نعمه ظاهرة وباطنة وأنت تسئ وتعصى فهل هـذا فعل الكرمـاء "
- والعلم بالذنب وخطورة الذنب وضرر الذنب على القلب والبدن وسوء عاقبة المعصية ، فالعلم هنا يزيل الغفلة التى سببت الذنب
- العلم بطرق الصبر عن المعصية
- ضغط الدم المرتفع اسمه القاتل الصامت لأن أعراضه غير موجودة لكنه فجأة يصيب الإنسان بالعمى أو بالشلل !
- فكيف نعالج ضغط الدم المرتفع ؟
- بطريقة واحدة ! ما هى ؟ أن نعلم أن ضغطنا مرتفع --- أن نعلم انظر كلمة نعلم أى من العلم ، فالعلم هنا نجاة
- اذا لابد من طلب العلم لتعرف ربك وعظمته وأوامره ونواهيه والحلال والحرام، وتعرف ما يحب وما يكره

- وكلما ازددت علما تأتيك القناعات قرأت كتابا أو مقالا ، حضرت درس علم أو خطبة جمعة ، سمعت محاضرة أو موعظة تزداد كفة الإيمان
- فاذا أصبحت قناعاتك أكبر بكثير من شهواتك استقمت على أمر الله ، فلابد من طلب العلم لتكتشف الخطأ قبل وقوعه



- ثانيا : من طرق علاج تعلق القلب بالذنب : نسيان الذنب :
- أنس الذنب ولا تفكر فيه ، حتي لا يهيّج في قلبك لواعج الشوق إلي المعصية أو تتذكر حلاوة مواقعة الذنب .
- ثالثا : من طرق علاج تعلق القلب بالذنب : هجر أماكن الذنب

لا تردد علي الأماكن التي كنت تعصي الله فيها وإذا مررت به قل الحمد لله الذي عافاني ، فالذي يريد النجاة لا يسكن في أرض موبوءة خوفاً من إنتقال فيروس المرض إليه ، فمثلا كيف لتائب من التدخين أن يستمر علي التوبة وهو لا يجالس إلا المدخنين ؟؟ فلا هو ينهاهم ولا هو يفارق مجالسهم

- رابعا : تغيير الرفقة :

وذلك بالإلتصاق بالصالحين ومن تذكرك رؤيتهم بالله تعالي وتعينك صحبتهم علي طاعة الله

- خامسا : محاولة إستشعار لذة العبادة

فإن للعبادة لذة أعظم من لذة المعصية، قال أحدهم : والله لأهل الليل في ليلهم أفضل من أهل اللهو في لهوهم ، فلا مجال للمقارنة بين لذة الطاعة ولذةالمعصية ولذلك لا بد للتائب أن يحسِّن صلاته وأن يحسِّن سجوده ليجد برد اليقين وقرةالعين .

قال مالك : نحن في سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف ، إنها لذة الطاعة .. إنها لذة الأنس بالله ومحبته ..

- والله والله والله لو ذقنا لذة العبادة لأغنتنا عن كل شئ ، وقد قيل لأحدهم – وكان يجلس بمفرده كثيراً - قيل له ألا تستوحش ؟ ألا تشعر بالوحشة من كثرة الجلوس بمفردك ؟ فقال كيف استوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرنى
- سادسا : الإنشغال الدائم

قال الشافعي : (نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل) أعظم خطر أن يكون الإنسان فارغاً فلذلك دائماً كن في عمل . تعلم دينك . إسمع . إقرأ . تحرك لنصرة دينك . ساعد الفقراء ، إذا إنشغلت بالأعمال إنقطع تعلق قلبك بالذنب

- سابعا : صدق الندم وإستقباح الذنب

إذا صدقت في الندم علي ما فات عافاك الله مما هو آت .أصدق الله يصدقك أصدق في الندم وإستقباح المعصية بأن تعتقد أن الذنب قذارة فلا تعود إليه
إذا لم تندم فإدراكك للذنب غير صحيح بسبب الجهل ، الجهل بخطورة الذنب ونوع الذنب والجهل بإنه ذنب والجهل بمن عصيته ، فلابد من العلم فالعلم هنا يزيل الغفلة التى سببت الذنب

- ثامنا: قصر الأمل ودوام ذكر الموت

إن الذي يذكر الموت بصفة دائمة يخشي أن يفجأه الموت فيلقي الله علي معصية فيلقيه الله في النار ولا يبالي ، فيبادر بالتوبة مهما تعلق قلبه بالذنب
تاسعا : تعويد النفس على الإكثار من الحسنات
فإن الحسنات يذهبن السيئات ، والماء الطاهر إذا ورد على الماء النجس يطهره ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها

- عاشرا : الخوف من الله تعالى أن يعجل العقوبة فى الدنيا فكما أنه غفور

رحيم فهو أيضا شديد العقاب فالحذر الحذر



- أما العائق الثاني من عوائق التوبة فهو :

.إستثقال التوبة واستصعاب الإلتزام :
وهذا إنما نشأ من تراكم الران علي القلب فاعتلته الغفلة والقسوة.فلا يرق لموعظة ولا يتأثر بموت ولا يجد إقبالاً علي توبة أو إستغفار ، ويرى التوقف عن الذنب مستحيلاً فكيف يمكن أن أتوقف ؟؟ وكيف يمكن أن أحافظ علي صلاة الفجر ؟ وكيف يمكن أن أغض بصري ؟ وكيف أترك التدخين ، يجد كل ذلك صعباً .

- فما العلاج ؟؟؟
- أولا : لا تفكر قبل أن تتوب

هناك أمور كثيرة تنظر إلي عواقبها ، ولكن في التوبة لا تنظر إلي عواقبها ولا تحسبها ..ولكن أقبل على الله ولا تهمنك العواقب ، أقبل على الله وتب ولن تندم أبدا فالتوبة لا يأتى من ورائها إلا الخير



ثانياً : الصدق مع الله
اصدق الله يصدقك ، إن صدقت مع الله فماذا تتوقع من الكريم سبحانه :
- سيعينك ويقويك ويضع فى ضعفك قوة منه . ((والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم

٢- سيعوضك خيرا مما تركت ومن يتق الله يجعل له مخرجاً "إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم "

٣- الصادق ينال ما يتمنى ، إن صدقت ستنال ما تتمنى

ثالثاً : التبرؤ من الحول والقـوة .

كل صعب يصير بحول الله وقوته سهلا فإذا استعنت بالله أعانك ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فهو سبحانه قادر أن تبيت ولا شيئ أحب إليك من معصية معينة فتصبح وقد صار أبغض شيئ إليك هذه المعصية .

قال الله تعالى : ((لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى)) على سبيل تثبيت القلب واطمئنانه والركون إلى الله وصدق اللجوء إليه .

في حال المعصية تتذكر ((ألم يعلم بأن الله يرى)) أى سينتقم إن لم ترجع .

وإما على سبيل المعية والرحمة والإعانة والتسديد والتوفيق فقوله ((لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى)

- العائق الثالث :- الابتلاءات التى تقع على التائب بعد التوبة

أحيانا كثيرة يتعرض التائب لبعض الإبتلاءات بعد توبته سواء في عمله أو في أهله أو في ماله ، وربما لم يتعرض لمثلها أبدا وهو عاصٍ فقد يرى الدنيا وقد اشتعلت حوله ، مشاكل فى العمل ومشاكل فى البيت ، فيقول أنا لا أتحمل كل ذلك فيعود من حيث أتى .

- وعلاج هذه العقبة :

يكمن في معرفة السنن الربانية وهدى النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الباب . قال تعالى : ((الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل : ((أوَ مخرجى هم ؟ فقال له : ما جاء رجل بمثل ما جئت به إلا عودى)) فلا بد من توقع البلاء بعد التوبة وإعداد النفس للصبر والثبات فإذا رأى الناس منك الثبات فهذا هو النصر

وانتصار المسلمين وثباتهم على عقيدتهم في شِعب أبى طالب رغم الإبتلاء الشديد كل هذا انتصار لا يقل عن انتصارهم في بدر



- العقبة الرابعة : العصرة التى تصيب قلب التائب :

وهذه العصرة عبارة عن شئ من هم وغم وضيق وقد يكون سببه الألم من فراق أمور اعتادت عليها نفسه وهى الذنوب

فالتائب سيفقد أشياء كان يحبها ويتعلق بها رغم ضررها ، ولذلك بعض التائبين يعودون وينتكسون بسبب هـذه المحبـة للمعاصـى .

والحل :
- أن يعلم الإنسان يقيناً أن الجنة محفوفة بالمكاره وأن النار محفوفة بالشهوات والذنوب والمعاصى
- فلا بد لمن أراد أن ينجو من النار والفوز بالجنة أن يصبر ويحتسب
- إن من سوء الظن بالله أن يظن العبد أنه إن ترك شيئاً لله لم يعوضه الله خيراً منه
- ومن سوء الظن أن يظن أنه إذا صدق في الرغبة والرهبة وتضرع إلى الله وسأله واستعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله .
- الحل أن تعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن الدنيا صبر ساعة ، وغمسة واحدة فى الجنة تنسك كل بلاء وألم مر بك
- خامسا من عـوائـق التوبـة : العادات

العادات من أشد عوائق التوبة ومن أهم أسباب انتكاس المرء ، فالعادات تشبه خيط مطاطى تتوب فيذهب معك ولكنه يشدك فإذا وقفت ولو للحظة جذبك فعدت مرة أخرى

قال ابن القيم رحمه الله :

والوصول الى المطلوب موقوف على هجر العوائد

فالعادات لها فعلا سلطان على نفسك ولها هيمنة على قلبك وهى متمركزة فيك كأنها طبيعة من طبائعك لا تقدر على مفارقتها

- كيف أتغلب على العادات ؟
- بتنمية محبة الله فى القلب ، فهجر العوائد فيه مشقة إلا إذا كان لله تعالى
- ومن أجمل ما قرأت في ترك العوائد والمألوفات قول ابن القيم في (الفوائد)
- انما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله
- أما من تركها صادقا مخلصا لله فانه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب، فان صبر على تلك المشقة قليلا استحالت لذة
- من الأمور المعينة على ترك العادات : تذكر الموت

تذكر الموت وتوقعه فى كل لحظة من الأمور التى تساعدك على ترك العادات السيئة والإنخلاع منها ، ولأجل هذا أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة ذكر الموت فقال : أكثروا من ذكر هادم اللذات

- من الأمور المعينة على ترك العادات : تذكر عظمة الأجر فى الدنيا والآخرة
- فاتحة التوبـة :

أولاً : الوعظ والتذكيـر :

- عاتب نفسك ، وكلم نفسك ، وحاسب نفسك ، خوفها وكرر عليها خطورة الإستمرار على ما هى عليه ، أيقظها وأعلمها أنه لابد من المصيـر إلى الله وأنها ستموت حتما ،
- قل لها يانفس مات فلان ومات فلان ، وغدا تموتين
- قل لها يانفس الله يراكِ على كل حال (يعلم خائنة الأعين) ،
- يانفس سترين أعمالك حاضرة يوم القيامة (يوم تجد كل نفس ما عملت محضرا) ، (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه)
- يانفس الأيدى ستشهد عليكِ ، يا نفس العين ستشهد عليكِ ، يا نفس صبر ساعة أم عذاب الأبد
- إن قالت غدا أتوب فقل لها : وما يدريكِ لعلكِ تموتين قبل التوبة فتكون سوء الخاتمة !! ولعل الله يحول بينكِ وبين التوبة !!
- إجعل نفسك تعترف بكثرة ذنوبها وتقصيرها فى حق الله تعالى ،وقل لها تذكرين كذا وكذا من الذنوب
- قل لها ويحك يانفس من يصلى عنكِ بعد الموت ؟ ، من يصوم عنكِ بعد الموت ؟
- ويحكِ يا نفس من يترضى عنكِ بعد الموت ؟ ، من يتوب عنكِ بعد الموت ؟ ويحك يا نفس لا تغرنك الحياة الدنيا
- أما تعلمين أن الموت موعدكِ ، والقبر بيتكِ ، والتراب فراشكِ ، والدود أنيسك ، والفزع الأكبر بين يديكِ ؟ يا نفس لقد ضيعتِ أكثر رأس المال ، فلو بكيتِ بقية عمرك على ما ضيعتِ لكنتى مقصرة فى حق نفسكِ ، فكيف يا نفس إذا ضيعتِ البقية وأصررتِ على المعاصى .
- أما تعلمين أن الأموات يتمنون الرجوع وأنتِ فى الأمنية فاعملى
- يا نفس أما تخافين (كلا إذا بلغتِ التراقى) ؟ هل يُقبل منكِ وقتها الندم أو التوبة ؟ أو يُرحم منكِ البكاء ؟
- يا نفس كم من مستقبل يوم لا يدركه ، وكم من مؤهل غداً لا يبلغه ، عرف نفسك ربها تستوحش من الخلق ، عرفها الطريق تنقاد
- يا نفس غدا تقومين بين يدى الله يحاسبك على كل أعمالك ، فإذا لذة المعصية التى فعلتها قد ولت والعقوبة قد حلت
- ذكر نفسك بسرعة لقاء الله تعالى وتوقع نزول الموت فى كل لحظة ، وما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار " وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة "
- **ثانياً : عـزل النفـس عـن مـواطـن المعصيــة :**

فالمرء على دين خليله ، وجليس السوء لا ينفعك أبداً وإنما لا يأتى من وراءه إلا الضرر ، وانظر بماذا نصح العالِم قاتل المائة نفس : اترك أرضك فإنها أرض سوء .

قد يقول لك الشيطان لا تعتزل مجالسهم حتى تدعوهم ؟

وهذه شبهة وحيلة ربما تعيدك إلى الذنب مرة أخرى .، أنت الآن هش ضعيف ولذلك أنكر بقلبك فقط ولا تدخل فى معارك جانبية



- **ثالثاً : تحطيم الأصنام**

قال الله ((أفرءيت من اتخذ إلهه هواه ....)) فكل ما تهواه النفس مما يغضب الله صنم ،

فالأغانى صنم ، والربا صنم ، والنظر إلى المحرمات صنم ، والتبرج صنم ، وتعلق القلب بالمسلسلات والأفلام صنم ، والإستعلاء على الناس صنم .

ولا تصفو التوبة حتى تتحطم تلك الأصنام وتسقط سقوطاً لا تقوم لها بعده قائمة ، ولذلك سمعنا عن عـودة البعض وانتكاسـه وفشل تـوبته لماذا ؟؟! لأنه لم يحطم تلك الأصنام

- رابعاً : فاتحة التوبـة أن ترفـع للنفـس أعلام الآخـرة :
- أرها الجنة والنار رأى العين كأنها تشاهدها عن طريق تدبر الآيات القرآنية ومعرفة معانيها ، وعن طريق كثرة قراءة وتفهم كلام النبى صلى الله عليه وسلم عن الجنة والنار كما قال حنظلة نكون عند رسول الله فيذكرنا الجنة والنار فكأنا نراها رأى العين .
- ذكر نفسك وهى تشتهى الدنيا بعظمة الجنة ، ففى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .
- إذا اشتهت الملابس والمتع ذكرها بقول الله فى سورة الإنسان : "وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا
كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ
وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا
﴿٢٢﴾ إعرض عليها هذه الآيات وأمثالها قال الله تعالى : أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ
فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ
ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ
أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ إجعلها تشاهد من الذى سبقها فى هذا الطريق إنه النبى محمد
وصحبه .



- والآن هيا لنتوب :
- صفة التوبة أو كيف أتوب ؟ أنا أريد أن أتوب فماذا أصنع ؟
- الآن وبعد أن عرفت فضائل التوبة ، وعرفت أنها من أحب العبادات إلى الله ، وأنها من أرفع المقامات، وعرفت خطورة الإصرار على الذنب وعدم التوبة وخطورة تأجيل التوبة ، وأن تأجيل التوبة ذنب يستحق التوبة، فيأتى السؤال كيف أتوب ؟

والجواب :

- أن الله عز وجل قد جرت سنته أنه كلما دعت الحاجة إلى أمر ما يسره الله عز وجل وأعان عليه بلطفه وجوده وكرمه ورحمته
- ولقد يسر الله أمر التوبة وفتح أبوابها لمن أرادها ، فهو عز وجل لم يشترط زمانا معينا يقبل فيه التوبة المهم أن تكون قبل الموت ، فلم يقل لا أقبل التوبة إلا فى رمضان أو فى الثلث الأخير من الليل أو فى يوم الجمعة فماذا يفعل من جاءه الموت قبل وقت من هذه الأوقات وهو يريد أن يتوب ، ولكن من رحمته وفضله ومحبته لتوبة عباده

فتح لهم باب التوبة ليلا ونهارا فى كل وقت كما جاء فى الحديث الصحيح : يبسط يده بالليل ليتوب مسيئُ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئُ الليل

- ومن تيسيره للتوبة أيضا أنه لم يشترط لها مكانا معينا فلم يقل لا توبة إلا فى مكة ، أو لا أقبل التوبة إلا فى المدينة ، ماذا كان يفعل من كان فى الصين أو غيرها وأراد أن يتوب ؟
- وإنما يسر الله أمر التوبة بشرط أن تكون قبل فوات الأوان قبل الغرغرة
- إن أى شخص يستطيع بفضل الله وعونه أن يتوب فليست التوبة حكرا على أحد ، والتوبة لا تحتاج هيئة معينة ، وإنما كل إنسان منا يملك ما يعينه على التوبة
- فأى فعل فى الدنيا يحتاج الى شيئين قدرة وارادة
- مثال : شخص يحتاج ان يشترى سيارة ويقول أتمنى أن اشترى سيارة، فماذا يحتاج ؟
- يحتاج مال وارادة ، فاذا كان يمتلك المال ولم يشتر السيارة فما الذى يحتاجه ؟

يحتاج إرادة الشراء ، يحتاج صدق فى الفعل ولا يغنى عنه الكلام

- وكذلك التوبة تحتاج الى قدرة وارادة وكل واحد منا يمتلك القدرة فاذا لم يتب فدل ذلك على عدم الصدق فى ارادة التوبة ، يقول بلسانه فقط

- فإذا قال الواحد منا أريد أن أتوب وأحب أن أتوب ثم لم يبدأ ولم يترك المعصية ولم يجاهد نفسه فهذا كذب ومثل هذا يكذب على نفسه وليس عنده إرادة صادقة



أركان التوبة

وأما عن أركان التوبة التى لا تصح التوبة إلا بها فهى كالتالى :

- أولا : الإخلاص

ما المقصود بالإخلاص فى التوبة ؟ المقصود أن تتوب لله عز وجل

- أن يكون الباعث لك على التوبة شئ واحد فقط وهو طلب رضا الله تعالى ، فقط أن يرضى الله عنك وأن يغفر لك .
- الإخلاص فى التوبة أن تتوب خوفاً من الله وتعظيماً لحرماته وإجلالاً له

- أن تتوب خشية أن يبعدك ويطردك من رحمته
- أن تتوب حياءا من الله أن تغمرك نعمه فى كل لحظة ثم أنت تستخدم هذه النعم فى معصيته
- أن تتوب رغبة فيما عند الله تعالى ، وطمعا فى ثوابه العظيم
- أن تتوب طاعة لله فقد أمرك بالتوبة
- أما من تاب خوفاً من سقوط منزلته عند الناس
- أو خوفاً من الفضيحة ، أو خوفاً من المرض
- أو لاستدعاء مدح الناس وهرباً من ذمهم
- أولإفلاسه وعجزه وعدم قدرته على اقتراف المعصية
- فهذا فى الحقيقة لم يتب توبة صحيحة ولكنه ترك الذنب
- وماذا يجب على من كان هذا حاله ؟ يجب عليه أن يصحح توبته فتكون لله . قال الله : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك))
- الركن الثانى من أركان التوبة : الندم

أولاً : ماهو الندم ؟؟

- الندم هو انكسار الإنسان وخجله أمام الله عزوجل أن فعل ما نهي عنه أو ترك ما أوجب عليه
- الندم هو الركن الأعظم في التوبة (فالندم توبة) ولكنه ليس الركن الوحيد
- إذ من لم يندم علي فعل الذنب فدل علي رضاه به وإصراره عليه (فالندم توبة والنادم هو الذي يتمني لو عاد به الزمان واستقبل من أمره ما استدبر ما فعل الذنب ولاستقام علي أمر الله عزوجل وطاعته ولم يفارقها .

- من علامات الندم طول الحزن وتمنى عودة الزمن لكى لا يقع فيما وقع فيه ومن علاماته أيضا البكاء فإن من استشعر عقوبة نازلة بولده أو من يعزّ عليه طال بكاؤه واشتدت مصيبته وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار ؟

- وأى سبب أدل على نزول العقوبة من المعاصى والاصرار عليها وأى مخبر أصدق من رسول الله

- ولو أخبرك طبيب أن ولدك لا يبرأ من مرضه لاشتد بك الحزن ، وليس ولدك بأعز من نفسك ولا الطبيب أعلم من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض أدل على الموت من المعاصى على سخط الله والتعرض للنار وسوء الخاتمة

- ثانياً : لابد من وجود أصل الندم في القلب بداية ، فالندم شئ متعلق بالقلب والجوارح تبع له ، فإذا ندم القلب إنقطع عن المعاصي فرجعت برجوعه الجوارح .
- ثالثاً : كلما كان الندم أقوي وأشد كلما كان تكفيره للسيئات أشد ، وهذا يعني أن الندم وهو عبادة قلبية يتفاوت بين التائبين .. فما سبب هذا التفاوت ؟؟
- والجواب :
- أن هذا التفاوت إنما يحدث نتيجة الخوف من الله عزوجل وشهود آثار أسمائه وصافاته ومن تمكن الندم من قلبه مع توبته أصبح حلاوة الذنب في قلبه مراره وكراهية ونفرة .
- قال القاسمي : فكان كمن ينفر من عسل فيه سم ولو كان في غاية الجوع
- وقد يسأل سائل وما الذي يقوّي الندم في القلب ؟؟

إن أعظم ما يولد الندو ويقويه في القلب هو العلم



فالندم لا يخلو من علم سببه أو من عمل أورثه

- ولكن أي علم ؟
- أعظم علم يقوي الندم في القلب هو العلم بالله تعالي ، العلم بأسمائه وصفاته وذاته ، والتعبد لله بها .
- وكلما كملت عظمة الله في قلبك عظمت عندك مخالفته واشتد ندمك ، لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من دونه ... فمعرفة صفات الألوهية توجب للعبد المحبة الخالصة والشوق إلي لقائه والأنس والفرح به والسرور به .
- وشهود آثار صفات الربوبية توجب التوكل عليه والإفتقار إليه والإستعانة به والذل والإنكسار له .
- معرفة الله عزوجل بإسمه السميع وإسمه البصير وإسمه الرقيب وإسمه الشهيد ، يجعلك توقن أنه كان يراك ويسمعك وأنت تفعل المعصية ، يقين جاذم بذلك وليس مجرد إحتمال فإذا حصل اليقين زاد الندم واشتد فحسنت التوبة . أتحب أخي أن يراك الناس وأنت تزني بعينك أو بفرجك؟ فكيف ترضي أن يراك الله علي هذه الحالة ؟؟ ألا تخاف منه ؟ ألا تستحي منه قال الله تعالى " يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ

مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾

- **ولكن لما كان استشعارك للمعصية ضعيفاً ونفسك ضعيفة ذكرك الله بأن معك شهوداً يسمعونك ويرونك ويسجلون عليك مثل البصر واللسان**

قال الله تعالى "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

- **من مظاهر حب الله لك**

الله عزوجل حي لا يموت ، قيوم لا ينام ، أحاط علمه بالمخلوقات جميعاً ، فلا تختلف عليه، اللغات، ولا تشتبه عليه الأصوات ، ولا يخفي عليه شئ في الأرض والسماوات .حتي حديث التفس والخاطرة التي لم تخرج من حيز القلب يعلمها الله " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد "

- **لا يحدث شئ في أي مكان في الأرض إلا والله يعلمه (قد أحاط بكل شئ علما) قال الله تعالى :**"وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

- **وعنده مفاتح الغيب فلا يغيب عنه سقوط ورقة يابسة من شجرة وارفة في ليلة مظلمة في غابة كثيفة الأشجار ومع هذا العلم الواسع المحيط فهو قادر مقتدر لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**
- **كان معي ، كان معك ، كان معنا**
- **يقيناً أخي وحبيبي في الله : أن الله لم يغب عنا ولو لحظة من لحظات حياتنا**

- ومعني ذلك أنه كان معك حين عصيته وحين نظرت إلي الحرام
- وحين مددت يدك إلي الحرام
- وحين تكاسلت عن إجابة نداء الصلاة
- كان معك وأنت تكذب
- كان معك وأنت تضع رأسك تحت الوسادة لئلا تسمع الصلاة خير من النوم
- كان معك وأنت تضبط منبهك علي الساعة السابعة متعمداً أن تفوت وقت الصلاة
- كان معى ومعك في كل معصية عصيناها ، وفي كل تقصير قصرناه ،
- وكان سبحانه قادر أن يأخذناعلي الحال التي كنا عليها
- يسير عليه أن يأخذنا علي أوضاع مشينة (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم)
- فلماذا لم يفعل ؟

الإجابة واضحة :

لأنه يحب عباده ويريد لهم أن ينهوا حياتهم نهاية سعيدة فيحلم ويصبر عليهم لعل لحظة تأتي عليهم فيفيقون من غفلتهم ويتوبون من معاصيهم فيتوب عليهم ويقبل توبتهم ويفرح بها (إن ربك لذو مغفرة للناس علي ظلمهم – والله يريد أن يتوب عليكم) .

وتأمل قول الله تعالى " أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧ ٤٧

ولكنه لم يفعل . لماذا ؟؟ لأنه كما في آخر الآية (إن ربكم لرءوف رحيم) .

فيا من يعاني من مأساة الذنوب إختبئ من الله فلا يراك فإذا نسيت نظر الله إليك ، وغلبتك شهوتك ، فأعمت عين بصيرتك فاختبأ من عينك التى تعصى ، واختبئ من يدك ...... ، فكلهم سيشهدون عليك يوم القيامة . قال الله تعالى : "ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥



- إذاً العلم بهذه الصفات يحجزك عن المعاصى وإن وقعت فإنك لا تصر بل تسارع بالندم الشديد والتوبة .
- العلم أيضاً بصفات الله عز وجل المتعلقة بالإنعام والتفضل والكرم والجود والإحسان ، النعم الظاهرة والباطنة ، النعم التى تعلمها والتى لا تعلمها ، العلم بذلك كله يجعل الإنسان يستحى من الله فلا يعصيه وإن ضعُف وعصاه فإنه يندم أشد الندم .
- أيضاً إستحضار وشهود آثار اسم الله الحليم ، الله الحليم أمهلك لتتوب ، مع العلم أنه كان قادراً أن يأخذك وأنت على المعصية أو على وضعٍ مشين أو تقصير أو تفريط ، وكان قادراً أن يشل أركانك فلا تقدر أن تفعل شيئاً ولاً تقدم أو تؤخر . "ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ، كل هذه يقوى الندم في قلبك
- ومما يزيد في الندم أيضا العلم بالنفس ، معرفة النفس وإنزالها منزلتها ، ومعرفة أن كل شرٍ تقع فيه إنما هو من نفسِك .
- ومما يعين على شدة الندم وتحسين التوبة أيضاً تصديق الوعيد ، تصديق الوعيد يعنى حصول اليقين "نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ وقال الله تعالى "إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ"
- ومما يثمر الندم أيضاً تصديق الوعيد مثِّل نفسك في زاويةٍ من زوايا جهنم ، لا نوم ولا راحة ولا ماء ولا طعام ولا حياة ولا موت ، ولكن" ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا " ٤
- وقال تعالى : ((ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً)) ، يعنى من الندم على التفريط "
- وقال الله تعالى " إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا ٧

إن مدار السعادة وقطب رحاها على تصديق الوعيد فإذا تعطَّل تصديق الوعيد من القلب خرب خراباً لا يُرجى معه فلاحٌ البتَّة ..



- ثالثاً : من شـروط التـوبـة الإقـلاع :

الإقلاع فوراً وبدون مماطلة أو تأجيل وذلك لأن التوبة تستحيل مع مباشرة الذنب الذى يتوب منه ، فإذا أقمت على الذنب وقلت ياربِّ تُب علىَّ فيردُّ عليك أقلع عن الذنب وأنا أتوب عليك

قال الضَّحَّاك : ثلاثة لا يُستجاب لهم ... فذكر منهم : ورجل مقيم على امرأةٍ يزنى بها ، كلما قضى منها شهوته قال ربِّ اغفر لى ما أصبتُ من فلانة ، فيقول الرب تحوَّل عنها وأغفرُ لك ، أما ما دمت مقيماً عليها فإنى لا أغفر لك .

عن ابن عباس مرفوعاً ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من ذنب وهو مقيمٌ عليه كالمستهزئ بربه)) .

وقوله (غفرت لعبدى فليفعل ما شاء) أى غفرت له مادام على هذا الحال كلما استغفر ، والظاهر أن مراده الإستغفار المقرون بعدم الإصرار .

- الإقلاع من أقلعت الطائرة أى تركت مكانها وارتفعت ولكنها في البداية تحتاج قوة دافعة كبيرة لكى تتغلب على الجاذبية وتخرج من الغلاف الجوى ، وكذلك الصاروخ ، ثم بعد ذلك يسبح في الفضاء بمنتهى اليُسر والسهولة ، ولذلك أحياناً يتوب المرء ثم يعود إلى المعصية مرة أخرى ، لماذا ؟
- لأن قوة الدفع لم تكن كافية لتخرجك من جاذبية العادة ، فالعادة تشبه الخيط المطاطى ، فلا تيأس وأعد بناء جيشك وغيِّر خطتك وحاول مرة أخرى
- رابعاً : من شروط التوبة : العزم :

العزم على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى ، وهو من لوازم صدق التوبة ، فلا توبة لمن أقلع عن ذنب وهو ينوى أقترافه مرة أخرى ، أو لا مانع لديه من ذلك .

والعزم عمل قلبىّ ، ويكتمل ويثمر حينما يكتمل الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وآثارها .

مثال : اسم الله العليم

- فالعليم هو الله ، وهو يعلم السر وأخفى من السر ، فالسر مالم يخطر ببالك فهذا يعلمه الله تعالى وأخفى من السر ما لم يخطر ببالك فهذا أيضاً يعلمه الله
- فلا بد أن توقن أن الله يعلم السر وهو ما كان بداخل القلب ولم تتحرك به شفتاك ، فإذا علمت ذلك وأيقنت بذلك كان تحقيقك لهذا الركن من أركان التوبة الأعظم.
- أما من لم يعلم ذلك أو كان علمه ضعيفا فقد يظن أنه سيخادع الله فيتوقف عن الذنب وهو ينوى أن يرجع إليه مرة أخرى فتكون توبته باطلة وليست توبة أصلا .

- لذلك من كل قلبك قل لن أعود للذنب مرة أخرى ، إن مجرد خاطر العودة إلى الذنب يجب ألا يرِد على خاطرك أصلا ، وإنما تب وأنت تعلم يقينا أنك لن تعود ، فإن كان عزمك صحيحا (والله أعلم بما في قلبك) وتبت إليه فغفر لك ثم مرت فترة فغلبتك نفسك فعدت إلى المعصية فإنه لا يكتب عليك إلا هذه المعصية الجديدة ، أما المعصية القديمة التى تبت منها توبة صحيحة فلا تكتب عليك من جديد .
- وهنا مسألة : وهي :
- هل العزم علي عدم العودة في الذنب يعني عدم الوقوع في الذنب مرة أخري بحيث متي عاد بطلب توبته ؟

والجواب :

لا ليس كذلك ، وإنما المطلوب من العبد أن يعزم عزماً أكيداً وأن يصرَّ إصراراً جازماً علي عدم العودة إلي الذنب فمتي فعل ذلك صحت توبته وقُبلت .

فإذا زلّ بعد ذلك بسبب نفسه الأمارة بالسوء أو هواه أو شيطانه فوقع في المعصية مرة أخري ، فإنه يحتاج إلي توبة أخري صادقة ، ولا علاقة لهذه التوبة الثانية بالتوبة الأولي وتوبته الأولي صحيحة غير باطلة .

والدليل قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن ربّ العزة: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربّا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب قد غفرت لعبدى البخاري ٧٥٠٧ / مسلم ٢٧٥٨ ..



- أمور معينة علي التوبـة :

من الأمور المعينة علي التوبة :

- ١- الإستعانة بالله تعالي : قالت أم المؤمنين عائشة : سلوا الله في كل شئ فإنه إن لم ييسره لم يتيسر .
- _الإستعانة بالله تعالى
- الإستعانة بالله تعالى ليست مجرد كلمة ولكنها اعتقاد ، فما دمت تطلب العون من الله وتستمد منه المدد والقدرة على غض بصرك فهذا يعنى أمرين
- ١- اعتقادك أن الله قادر على ذلك فهو على كل شئ قدير يقول للأمر كن فيكون
- ٢- اعترافك بعجزك وفقرك وحاجتك الى الله

- الإخلاص ---- إخلاص فى ماذا ؟
- إخلاص فى التوبة أن تتوب لله وليس خوفا على دنيا أو خوفا على ذهاب منزلة فى قلوب الخلق ----- الخ
- الاخلاص فى التوبة هنا يعنى أن الباعث الوحيد الذى جعلك تتوب هو طلب رضا الله ، أن يرضى الله عنك فقط
- لو تم الإخلاص عندك فأبشر فهذا يعنى أن يمدك الله بمدد من عنده ، وكل ما تمت نيتك تم عون الله لك
- هل تعرف ماذا سيحدث إذا تركت هذا الذنوب لله تبتغى رضا الله
- الجواب :

لن تجد فى ترك هذه الذنوب مشقة ولا تعب إلا فى أول الأمر ليمتحنك الله أصادق أنت فى توبتك أم لا ، فإن صبرت قليلا تحولت هذه المشقة الى لذة ومتعة

- ورحم الله من قال : مازلت أدافع شهوتى حتى صارت المدافعة لى شهوة
- وقال آخر : ما زلت أسوق نفسى الى الله وهى تبكى حتى انقادت وهى تضحك

- المجاهدة :

ليس مرة أو مرات وإنما يجاهد نفسه في ذات الله حتي الممات . وكل من جاهد نفسه وشهوات هواه ليكون عبداً لله عزوجل ، فإن الله عزوجل يستعبد له ما كان يملكه ويلين له ما كان يعجزه .

يقول بن الجوزي : وفي قوة قهر الهوي لذة تزيد علي كل لذه حلاوة ما نهي الله عنه فإنها تثمر عز الدنيا وشرف الآخرة .

٤- قصر الأمل وتذكر الآخرة :

أن يقصر الإنسان أمله ويتذكر سرعة زوال الدنيا والعلم أنها مزرعة للآخرة ، وفرصته لكسب الأعمال الصالحة ، وتذكر ما في الجنة من النعيم المقيم ، وما في النار من النكال والعذاب الأليم ، فإذا تذكرت ذلك أقصرت عن الإسترسال في الشهوات ، وانبعثت إلي التوبة النصوح ، وتداركت ما فاتك بالتوبة والأعمال الصا



٥- العلم :

فالعلم نور يُستضاء به وينظر من خلاله إلي الأمور علي حقيقتها ، ومن العلم في هذا السياق العلم بعاقبة المعاصي وقبحها ودنائتها ، وأن الله إنما حرمها ونهي عنها صيانة

وحماية عن الدنايا والرذائل كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضر ، والعلم بفضل التوبة في الرجوع إلي الله تعالي .

أخطاء في التوبـة

- تأجيل التوبـة :

- وهو من أخطر وأكثر أخطاء التوبة ، فمن الناس من يعلم حرمة ما يقع فيه من المعاصى والذنوب ولكنه يؤجل التوبة ويسوِّف فيها وهذا خطأ ، لأن التوبة واجبة على الفور ، بل تأخيرها ذنب يجب التوبة منه ،فحينما يفشل الشيطان فى التلبيس على العبد ويفشل فى أن يجعل العبد يعتقد أن الباطل حقا والحرام حلالا يلجأ الى ماذا ؟ يلجأ الى التسويف والتأجيل
- حال لسان العبد أنا موقن أن هذا خطأ وأنى مخطأ وأن هذا حرام ولكن غدا أتوقف
- يقول لا بأس أن تتوب ولكن لماذا العجلة وأنت ما زلت صغيرا والعمر أمامك والفرص كثيرة وهكذا يتدرج معه فى التسويف حتى يضعف إقباله على التوبة أو يفجأه الموت قبلها
- فعلى العاصى وكلنا عصاة أن يعجل بالتوبة ، لماذا ؟

أولا : لوجوب ذلك.

ثانيا : حتى لا تصير المعاصى راناً على قلبه وطبعا لا يقبل المحو " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون "

ثالثا : خوفاً أن تعاجله المنية وهـو مصرٌّ على ذنبه

رابعا : لأن ترك التوبة وتأجيلها يؤدى إلى صعوبتها بعد ذلك

خامسا : لأن ترك المبادرة إلى التوبة وتأجيلها سبب لفعل ذنوب أخرى .

- ابليس انتكس بعد عبادة سبعين ألف سنة !!
- ماذا يعنى ذلك ؟
- لا تظن أنك إذا سكت عن ذنب فى قلبك سكت عنك ، فقد تقع وتنتكس فى يوم من الأيام بسبب هذا الذنب الذى لا تستغفر منه

- وأخطر شئ أن يكون الانتكاس عند الموت بسبب ذنب لم تتب منه ، ولذلك سبعة عشر مرة فى صلاة الفروض تقول اهدنا الصراط المستقيم – غير النوافل
- يعنى يارب لا تتوفنى الا وأنت راض عنى ، يارب لا تمتنى يهوديا ولا نصرانيا ولا مصرا على معصية ، وتدعو الله الا يقلب قلبك عن الاسلام – واجنبنى

٢- غفلة البعض عن التوبـة مما لا يعلمه من ذنوبه :

فأغلب الخلق بدون مبالغة (إلا من رحم الله) لا تخطر في باله هذه التوبة ، فتراه يتوب من ذنوب يعلم أنه وقع فيها ، ولا يظن بعد ذلك أن عليه ذنوبا غيرها وهذا خطأ ، فهناك ذنوب خفية ، وهناك ذنوب يجهل العبد أنها ذنوب .

وما المخرج ؟؟

المخرج : أن تتوب توبة عامة من ذنوبك التى تعلمها ومن الذنوب التى لا تعلمها ، فإن لا ما يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلم " اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم " ، وجاء أيضا عن النبى " صلى الله عليه وسلم " أنه كان يدعو في صلاته " اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت

وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت " فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتى التوبة على ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه ، بشرط ألا يكون فيها حق للعباد

- من الأخطاء عدم استمرار التوبة

فيظن البعض أن التوبة منزل ينزل فيه ثم يفارقه ، والحق أن التوبة هى أول الطريق وأوسطه وآخره ، والحق أن المؤمن لا يفارق طريق التوبة أبدا ولا يزال فيه إلى الممات ، فالتوبة على مدار الأنفاس ، تتوب كل ساعة ، إن المؤمن كلما ترقى من منزلة إلى منزلة لا يترك التوبة وإنما يصطحبها معه في كل منزلة مهما علت منزلته وانظر حال النبى " صلى الله عليه وسلم ومداومته على التوبة على مدار الساعة رغم أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر



شبهات في طريق التوبة

لما كان مقام التوبة من أعظم المقامات وأفضل العبوديات عند الله تعالى ، إجتهد الشيطان جدا في الحيلولة بين العبد وبين التوبة ، فصنع خندقا عظيما يحول به بين العبد وبين التوبة ، وصنع شبهات كثيرة جدا في قلوب أغلب الخلق ، وهذه الشبهات جعلت أغلب الخلق يغفلون عن هذا الباب العظيم رغم سهولته ويسره ومحبة الله له .

فالبعض ابتعد تماما عن التوبة ، والبعض أخطأ فهمها ، والبعض أسرف على نفسه ، والبعض اكتفى من التوبة بالظاهر دون شعور بالندم ، ورحم الله ابن القيم القائل : " وأغلب الناس لا يفقهون حقيقة التوبة "



- الشبهة الأولى :

- يقول :
- كلما وقعت في الذنب أتوب وأعود وأتوب وأعود ، حتى شعرت بأنى منافق فماذا فعلت ؟ أصبحت أفعل الذنب ولا أتوب !
- وهذه الشبهة أوقع وأقنع بها الشيطان الكثير من الخلق للأسف
- فكيف نزيل هذه الشبهة ؟
- أولا : ما هو سبب هذه الشبهة ؟
- سبب هذه الشبهة أن صاحبها لم يعرف ربه عز وجل كما ينبغى ، فالله عز وجل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، لقد خلط صاحب المشكلة السابقة بين الله وبين خلقه ، فظن أنه كما أن الخلق يملُّون ويتضايقون من كثرة الإعتذار مما يدفعهم إلى الضيق والتجاهل ، فكذلك ظن في الله وهو ظنٌّ خاطئ ، لقد ضحك الشيطان عليه وجعله يشبه الخالق بالمخلوق
- ولكن الله عز وجل ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ، فالله عز وجل يحب لعباده أن يتوبوا ، بل يحب التائبين مهما كانت ذنوبهم ويغفر جميع الذنوب للتائبين ، ويحب الأوابين العائدين مهما تكررت خطاياهم طالما علموا أن لهم ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب فيتوبون ويستغفرون .والله عزوجل لا يمل من كثرة توبة العبد ورجوعه اليه ، بل يفرح بتوبة عبده مهما تكررت
- أى شخص منا حينما يخطئ فى حق شخص كريم ومحسن وخلوق ويتكرر الخطأ مرات ومرات يشعر بالخجل ويتعمد ألا يقابه فى مكان ويتوارى منه وإذا لقيه فجأة شعر باحراج شديد

- ولكن إذا قام هذا الشخص المحسن الكريم بدعوة هذا الرجل الذى تكررت أخطاءه فى حقه وقال له أتمنى أن أراك وأحب أن أراك فإن ذلك يشجع الشخص المخطئ أن يذهب إليه ويعتذر ويفتح صفحة جديدة
- ولله المثل الأعلى هو الخالق العظيم المنعم الكريم الغفور الرحيم وأنا وأنت المخطئ المقصر ومع ذلك ينادى علينا ، يدعونا لا لحاجته إلينا وإنما ينادى علينا ليغفر لنا ويرحمنا ويعفو عنا ، فأقبل ولا تتردد
- ثانيا : هذه الشبهة تزال بقول النبى " صلى الله عيله وسلم : " قال إبليس : وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الله : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى " ،
- ماذا يعنى هذا ؟
- يعنى أن الله لم يجعل للتوبة حدا أقصى لعدد مرات التوبة فى اليوم حتى تتوقف عن التوبة ، بل كلما أذنبت فتب ، وليس هذا تصريح منى بأن تذنب ولا تهوين بكثرة الذنوب ، ولكن أقول لك كلما أذنبت تب حتى لو تكرر الذنب الف مرة فى اليوم ، والله سيغفر لك ، بشرط أن تتوب فى كل مرة توبة صحيحة تستجمع فيها أركان التوبة الثلاثة ، في كل توبة ندم وإقلاع وعزم على عدم العودة
- طالما تتوب فلست مصرا على الذنب ، الاصرار معناه عدم التوبة ، وهذا هو المفهوم من الحديث : لأغفرن لهم ما داموا يستغفروننى " وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم : أذنب عبدى ذنبا فعلم أنه له ربا يؤخذ بالذنب ويغفر الذنب
- ثم أخى الكريم إن توبتك واستغفارك يدل على شئ مهم جدا وهو صدق إيمانك بالله ، فلا تقل إنى منافق فما دمت تتوب وتستغفر فلست منافقا
- كلمة استغفر الله أو اللهم اغفر لى ، ليست كلمة هينة إنها كلمة عظيمة لا يقف أمامها ذنب ، فلا تستعظم ذنبك واعلم أن لك ربا عظيما تعبده وتوحده يغفر الذنوب جميعا
- ثم هناك كلمة أخيرة إن كانت كثرة سقوطك دليل خطر فكثرة توبتك دليل صدق قلبك فى التوبة ةالانابة والعودة الى الله ، فأبشر ، واذا أحزنك كثرة سقوطك فافرح لكثرة توبتك
- فتوبتك إغاظة للشيطان ، فرغم كثرة سقوطك يراك لا تمل من التوبة



- الشبهة الثانية

- يقول : أخبرتنا أن التائب من الذنب كم لا ذنب له ، وأن الله يغفر الذنوب كلها عند التوبة

- قلتُ نعم والذى أخبر بذلك لست أنا   بل رسول الله صلى الله عليه وسلم
- قال : لقد خطرت في بالى فكرة !
- قلت : ما هى ؟

قال : أفعل كل ما أشتهيه من الذنوب والمعاصى عدة سنوات ثم أتوب إلى الله عز وجل بعد ذلك وتُغفر ذنوبى جميعا ؟

ما رأيك فى هذه الفكرة العبقرية ؟

والجواب على هذه الشبهة :

- سبحان الله ، ألا تظن أن الله يسمعك وأنت تقول هذا الكلام ، سواء قلته بلسانك أو عزمت عليه بقلبك ؟
- الله عز وجل يسمعنا ويعلم ما قلوبنا فقد لا يقبل توبة من يقول هذا الكلام ، لأنها ليست توبة صادقة
- ثم ما الذى أدراك أنك ستتوب ؟؟
- فهناك أمور قد تمنعك من التوبة إذا أفلت من واحد منها نهشك الآخر :
- فقد تموت قبل أن تتوب فتلقى الله عاصياً .
- وقد تموت أثناء الذنب فلا تتمكن من التوبة وتسوء خاتمتك
- وقد تذنب وتريد أن تتوب فلا توفق للتوبة .
- فالخطر الأول وارد وممكن وقد حدث فعلا مع البعض فلقى الله عزوجل مصراً على الذنب متلبساً به غير تائب ولا نادم
- قال الله تعالى : وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ "
- فإذا أفلت من الخطر الأول نهشه الخطر الثانى ، فيموت أثناء الذنب وتسوء خاتمته ، وهذا حدث فعلا مع البعض فمنهم من مات وهو يزنى أو ينظر للحرام ومنهم من مات وهو يسرق ومنهم من مات وهو يغتاب أو يشهد زور ومنهم من مات وهو عاق لوالديه قاطع لرحمه ومنهم ومنهم   الخ
- قال الله تعال : " ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون "
- يموت الإنسان وهو يفعل الذنب فلا يستطيع أن يتقدم خطوة أو يتأخر

- وهنا فائدة وهى أن الانسان العاقل يتذكر بعض الذنوب التى كان يفعلها وكيف كان يمكن أن الله يقبضه عليها فتسوء خاتمته ولكن الله ستره وأمهله وحلم عليه فحينئذ يكثر من حمد الله أن الله لم يأخذه وهو مقيم على ذنب
- فإذا نجا من هذا ولم يمت أثناء الذنب نهشه الثالث فقد يحول الله بينه وبين التوبة فلا تأتيه إرادة التوبة أصلا بسبب فساد قلبه "
- قال الله تعالى : " واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأن إليه تحشرون "
- إن من أعظم أسباب هذه الشبهة سببين : الجهل بالله – وطول الأمل .



- الشبهة الثالثة

تقول له تب إلى الله ! فيقول : ربنا يهدينى ، أليس الله هو الهادى ؟؟

والجواب : بلى . الله هو الهادى

- ولكن صاحب هذه الشبهة يقول كلمة حق ولكنه يريد بها باطل
- فمع علمنا ويقيننا أن الله على كل شئ قدير وأنه يقول للشئ كن فيكون وأنه لا يعجزه شئ سبحانه وتعالى
- ولكن الله قد حكم هذا الكون بسنن ربانية لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابى أحدا فقال سبحانه وتعالى : فاستهدونى أهدكم "
- يعنى الهداية على أمرين :
- أن تعلم وتوقن أن الله هو الهادى فيتعلق قلبه به باطنا وتدعوه ظاهرا
- والامر الثانى أن تأخذ بأسباب الهداية فتتعلم وتحاول وتجاهد نفسك ، وتتوقف عن الذنب
- فلا تظن أنك ستقوم يوما من النوم فتجد نفسك قد تركت الذنوب وتوقفت عنها ، ولكن لابد من المجاهدة والمحاولة والصبر على ذلك والله عزوجل وعدك إن جاهدت نفسك أن يعينك ويوفقك ، قال الله تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا "
- ومما يدحض هذه الشبهة أيضا من واقع حياة الانسان أنك تذهب للعمل كل يوم وأحيانا يوم الإجازة تعمل لماذا ؟ طلبا للرزق
- إذاً اجلس في بيتك والله عز وجل يرزقك !!
- أليس الله عز وجل هو الرزاق سبحانه ؟! بلى
- فكما أن الهداية بيد الله فكذلك الرزق بيد الله

- يقول لك : ولكن الرزق لا بد له من السعى والحركة والمجاهدة والتعب قال الله : " فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور "
- فيحنما تسأل الله الرزق وتدعوه ماذا تفعل بعد الدعاء ؟ تخرج وتسعى وتتعب وتجاهد فهذا دعاء وأخذ بالاسباب
- فحينئذ نقول له كذلك الهداية لا بد لها من مجاهدة وتعب لكى تحصل عليها والهداية من أعظم الرزق ، فلماذا إذاً في حقوق نفسك ومن حولك تعمل وتتعب وفى حقوق الله لا تعمل ؟؟ فهل هذا عدل ؟؟ هل هذا إحسان ؟؟ أليس الله يأمر بالعدل والإحسان ؟؟ قال الله : " فاستهدونى أهدكم " فليس معنى استهدونى فقط أن تطلب الهداية بلسانك وأنت مصر على المعاصى
- ثم انظر كيف قدم السعى على الأكل فقال : فامشوا ثم قال كلوا
- فكذلك الهداية رزق بل هى من أعظم الرزق فلابد من خطوة البداية وهى أشق خطوة ، أن تبدأ تجاهد نفسك وتتوقف عن الذنب



رابعا : الشبهة الرابعة :

- تقول له تب ! فيقول : إن بعض الناس يلهمهم الله الهداية والتوبة قبل موتهم بزمن بسيط جدا ؟
- والجواب:
- إن كلام هذا الرجل صحيح فعلا فتجد أحيانا رجل مسرف على نفسه في الذنوب والخطايا ثم تتداركه الرحمة في آخر عمره ، فيتوب وتحسن خاتمته
- وهناك آخرون كذلك لا تتداركهم الرحمة ، فيموتون على معصيتهم دون توبة
- والله عز وجل حكم عدل لا يظلم الناس شيئا
- والسؤال : هل ترضى أن تعلق مصيرك وجنتك ونارك على احتمال؟
- إنها مسألة مصيرية في منتهى الخطورة !
- إن من يقول هذا الكلام يشبه مجموعة من الناس كانوا في طائرة ، واضطروا للهبوط بالمظلات وكان معهم رجلا أعمى فقالوا له حينما تهبط من الطائرة إضغط على هذا المفتاح فتنفتح المظلة وتنجو إن شاء الله ، فجعل يجادل معهم ويقول :
- أليس وارد أن تنفتح تلقائيا بدون تدخل منى ؟
- فقالوا أحيانا يحدث هذا ، ولكن لماذا تعرض نفسك للخطر ؟
- فقال إن اقتربت من الأرض ولم تنفتح سأفتحها بيدى

- فقالوا له : ولكنك أعمى لا تدرى متى ستقترب من الأرض ؟

فقال : إذا ربى يفتحها من عنده ! وظل يجادل ، فهل تقبل مثل هذا الكلام؟

إن هذا الرجل الأعمى لا يدرى متى سيصل إلى الأرض فالأفضل أن يكون مستعدا وجاهزا للحظة وصوله حتى ينجو

وكذلك نحن أنا وأنت لا ندرى متى سنصل إلى الموت متى نموت ؟

متى يأتينا الموت ؟

فافتح مظلة التوبة الآن فالموت لن ينتظر توبتك فتب أنت وانتظر الموت

- الشبهة الخامسة :

يقول : أريد أن أتوب ولكن لا أتذكر جميع ذنوبى أتوب من إيه ولا إيه ......،
والجواب : أن هناك حلا مريحا لهذه الشبهة ما هو ؟

أن تعزم على توبة عامة والله سيبدلها حسنات جميعا ، تغفر ذنوبك جميعا إلا ما كان متعلقا بحقوق الناس .

- الشبهة السادسة

أريد أن أتوب ولكن هناك بعض الذنوب لا أريد التوبة منها الآن فهل تصح توبتى ؟

والجواب : نعم تصح توبتك فيما تبت منه وما لم تتب منه ستحاسب عليه " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "

ولكن انتبه فحينما ستتوب مستقبلا فإنك لن تتوب من الذنب الذى أخرت التوبة منه فقط وإنما ستتوب أيضا من تأخير التوبة وذلك لأن التوبة واجبة على الفور وتأخيرها عن وقتها ذنب يحتاج إلى توبة . قال الله تعالى : " وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون "

الشبهة السابعة : الإغترار بستر الله وتوالى نعمه

يقول أنا أعصى ومع ذلك لا أُعاقب فيتمادى في الذنب ؟

والجواب :

- ألا يخاف من هذا حاله أن يهتك الله الستر المُسبل عليه ؟ ألا يخاف يخاف من هذا حاله ؟ أن يكون هذا الإمهال استدراج من الله له ؟ " إذا رأيت الله يعطى العبد من

الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فاعلم أنما ذلك منه استدراج " (الصحيحة ٤١٣) .

- فقد يعطى الله عز وجل العبد ما يحب وهو يكرهه ويبغضه ليكون فيه هلاكه ، أليس قد أجاب دعوة إبليس وهو أبغض الخلق إليه ؟؟

قال الله تعالى "وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾"

قال الله تعالى "فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾"



- الشبهة الثامنة : شبهة لا يكاد ينجو منها إلا أقل القليل
- يقول أفعل الطاعات والفرائض واجتهد فى النوافل ، ولا أفعل شئ من الكبائر ولا أصر على صغيرة ، واحرص على الحلال الطيب الخ
- فيقول : من أى شئ أتوب ؟
- وهذا طبعا فهم خاطئ جدا وقد أتى صاحبه من قبل الجهل بشيئين
- الجهل بربه سبحانه ، والجهل بنفسه
- الجهل بالله وبعظمته وما يستحقه من التعظيم والعبادة
- قال الله تعالى " وما قدروا الله حق قدره "
- الجهل بالله وبنعمه التى لا تحصى وما يستحقه من الشكر
- والجهل بنفسه وعمله وما يعتريه من الآفات والنقص
- وهاهنا كلمة تقضى على هذه الشبهة تماما
- وهى أن التوبة لا تكون من فعل الذنوب فقط !
- ولكن التوبة أيضا تكون من التقصير فى حق الله تعالى
- ومهما فعل الانسان فلن يستطيع أن يقوم بحق الله تعالى
- ولذلك قال طلق بن حبيب أن حق الله أعظم من أن يقوم به إنسان ونعم الله أكثر من أن تحصى فاصبحو تائبين وامسوا تائبين

- يعنى مهما فعل الانسان من طاعات فلن يستطيع أن يقوم بحق الله ومهما شكر فهو غارق فى التقصير فماذا يصنع ؟ يكثر من التوبة فى كل وقت فإن ذلك يجبر الكسر ويعوض التقصير
- والنبى صلى الله عليه وسلم وهو أعرف الناس بالله وهو أتقى الناس وأشدهم له خشية ، وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهو سيد العابدين وهو سيد الشاكرين وهو سيد الأولين والآخرين ، ومع ذلك يقوم حتى تتورم قدماه ومع ذلك كله يقول يا أيها الناس توبوا الى الله فإنى أتوب الى الله واستغفره فى اليوم مائة مرة
- فيتوب ويأمر الناس بالتوبة رغم كل ذلك طاعة لله عزوجل
- ويتوب لأنه يعلم أن حق الله أعظم من أن يقوم به انسان ونعم الله أكثر من أن تحصى
- يتوب لأنه يرى أن الله عظيم يستحق عبادة أفضل من تلك العبادة رغم شدة اجتهاده ، ولكنه كلما ازداد علما ومعرفة بالله ازداد محبة له وخشية وعبادة ، ومهما قدم وبذل يشعر أنه لم يقدم شيئا ، يستصغر عبادته أمام حق الله ونعمه فيكثر من التوبة والاستغفار والافتقار والانكسار والثناء على الله والذكر

فلذلك نحن بحاجة للتوبة فى كل لحظة وخاصة كلما خطر فى بالنا التقصير

الشبهة الثامنة : الإغترار بكثرة العاصيين .

يقول : كل الناس واقعون في المعاصى ، ويظن أن ذلك ينفعه وقد نفى الله ذلك

قال الله تعالى : وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ

الشبهة التاسعة : تهوين المعصية

- حينما يحرص العبد على التوبة ويستعظم ذنبه يأتيه الشيطان ويقول له وماذا فعلت أنت إنها ذنوب بسيطة وصغيرة لقد فعل فلان كذا وكذا وفعل فلان كذا وكذا وهناك أناس يفعلون كذا وكذا فحتى لو تضاعفت ذنوبك فهى قليلة بالنسبة لغيرك والله غفور رحيم ، فيترك التوبة والاستغفار

وينسى قول الله عزوجل : وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم " وينسى أنه

على قدر استصغار الذنب فى نفس العبد يكبر عند الله

- وينسى أن الإصرار على المعصية وعدم التوبة منها قد يجعلها فى أعلى رتب الكبائر إذا صاحب هذا الإصرار عدم الخوف من الله وعدم الحياء من الله
- يقول أنا أحسن من غيرى والله يقول:" فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ

" أو لعلك لو استطعت لعملت فمن الذى أخبرك أنك أحسن ، ولعلك لو وكلك الله الى نفسك لضعت
- قال صلى الله عليه وسلم : إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجتمع على العبد حتى تهلكه احمد
- ثم قد يكون هذا استدراج من الشيطان الى سلسلة لا تنتهى ، فالذى لا يدخن مثلا يقول أنا أفضل ممن يشرب الحشيش ، والذى يشرب الحشيش يقول أنا أفضل ممن يشرب البانجو والهيروين وهكذا الى سلسلة لا تنتهى



- الشبهة العاشرة : التييئس

فإذا أسرف العبد على نفسه فى الذنوب وأراد أن يتوب وطمع فى الرحمة والمغفرة ذكره الشيطان بإسرافه وذنوبه فيغلب عليه جانب الخوف ويقذف الشيطان فى نفسه أن الله لا يقبل توبته بسبب إسرافه فيصاب باليأس والقنوط من رحمة الله وهذا اليأس والقنوط ذنب آخر يضاف الى الذنوب الآخرى التى تحتاج الى توبة منها

وعلاج هذا الأمر بتذكر سعة رحمة الله " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنقطوا من رحمة الله

- يا ابن إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت ولا أبالى -----" الترمذى ٣٥٤٠وصححه الالبانى

- الشبهة الحادية عشر

يقول وما فائدة التوبة وأنا أعلم من نفسى أنى ضعيف أمام الذنب

فكيف نجيب على هذه الشبهة ؟

والجواب بحمد الله نقول له :

ليس هذا شأنك أنت مأمور بالتوبة الصادقة وتكرار التوبة ، وأما ضعف النفس مستقبلا فأمر يعلمه الله

ثم أن التوبة الصادقة تمسح الذنوب السابقة مسحا ، وتجعل صحيفتك بيضاء تماما ، فإن عدت بعد ذلك فإنما هو ذنب واحد والذنوب السابقة مسحتها ونسفتها التوبة تماما

- أيضا ربما تموت بعد التوبة وقبل أن تضعف نفسك وتعود للذنب مرة آخرى ، وإنك إن تقبض على طهارة وتوبة خير من أن تقبض على اصرار
- وانما مدار الأمر على العزم الصادق والله يعلمُ السر وأخفى
- وقد ذكر لنا النبى صلى الله عليه وسلم قصة توبة الكفل وكيف مات بعد التوبة مباشرة فى وقت لم يتوقعه ، فمات تائبا طاهرا فى أحسن أحواله
- وماذا لو تأخر عن التوبة ولقى الله عاصيا مذنبا
- الشبهة الثانية عشر
- يقول أنا لا أحب التقييد
- والجواب
- ومن منا لا يحب التقييد ، ولكن هناك فرق بين من انطلق بجسده وحُبس بروحه فهى تصرخ ليل نهار ، وبين من حُبس جسده فانطلقت روحه الى السماء ، فالأول لا يعرف ربه حق معرفته ، ولو عرفه ما استطاع مخالفة أمره ، ولا يعلم قدر التوبة ولو علم قدر التوبة ما فارقها بقلبه ولا بلسانه
- ثم ألا نتقيد أحيانا من أجل لعاعة من الدنيا
- فكيف لا نتقيد من أجل رضا الله وجنة عرضها السموات والارض
- إنه تقييد ممتع لأنه فى ذات الله وهو ليس بالمجان
- قال الله عزوجل " سلام عليكم بما صبرتم "
- الشبهة الثالثة عشر
- يقول الذنوب والمحرمات ممتعة وفيها إثارة وسعادة
- لاشك أن السعادة مطلب الجميع ، والكل بلا استثناء يبحث عن السعادة
- ولكن كل واحد له تعريف للسعادة يختلف عن الاخر فإذا أردنا أن نعرف حقيقة السعادة فلابد أن نعرف ذلك ممن خلق السعادة إنه الله
- فالسعادة الحقيقية فى معرفة الله والانس به وطاعته وعبادته وذكره
- فالله هو الذى خلقنا ويعلم ما الذ يسعدنا وما الذى يشقينا وما الذى يضرنا وما الذى ينفعنا
- قال الله تعالى " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة "
- وقال الله تعالى : "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا "

- وكل شئ خزائنه بيد الله ، قل اللهم مالك الملك " وما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، فكيف يجعل الله سعادة فى معصيته
- وقد يصرّ البعض على القول بأنه يكون سعيداً حينما يعمل المعصية ، وهنا نقول له أن سبب المتعة التى تجدها حينما تعصى ليس لأن ما تعمله ممتع ولذيذ ولكن لأن القلب فسد ، فلا يري الأمور على حقيقتها
واذا امتن الله عليك بقلب سليم ستعلم قبح المعصية
- وحتى لو سلمنا جدلا بأن المعصية لذيذة فى وقتها فانظر الى عاقبتها فان العاقبة تنسى اللذة مهما كانت
- فتأمل فى عاقبة أمرك فكما أنك تتلذذ بالذنب ساعة فستجد الألم ساعات وأيام



ختـامـاً

فإن هذا الواجب الكبير ، وهو التوبة ليس يستغنى عنه عبد ولا يُعذر في تركه فرد ، ولن يقوم شأن الأمة ما لم يبادر الأفراد إلى أداء واجباتهم

والتوبة مما فرَّطوا فيه في حق الله تعالى

بدلا من التلاوم وإلقاء التبعات على الآخرين تهربا من المسؤولية

وهل الأمة إلا مجموع أفرادها ؟؟؟

- واخيرا ليس بالتوبة تصبح معصوما وإنما تتباعد المسافة بين الذنوب وتقل العقوبات نتيجة كثرة التوبة وربما ندم الشيطان أحيانا من إيقاعك فى المعصية حينما يرى توبتك واستغفارك وندمك وانكسارك بين يدى الله ولما يرى من حسنات ماحية وتعلق القلب بالله
- ونختم بما بدأنا به من قول طلق بن حبيب : إن حق الله أعظم من أن يقوم به إنسان ، ونعم الله أكثر من أن تحصى ، ولكن أصبحوا تائبين وامسوا تائبين "
- اللهم ارزقنا علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً صالحاً متقبلاً
- اللهم صل وسلم على نبينا محمد
- هذا والله تعالى أعلم / علاء مصطفى حجازى / ٠١٠٩٩١٥٥١٥٧/٠١١١٥٩٢٤٨٤٩



مع تحيات

